ونظرا اليه اذا نظر كيف تظفر به قال الجنيد صدقت **الادب الثالث** ان يكون مصغيا
الى ما يقوله القايل حاضر القلب قليل الالتفات الى الجوانب متحرزا عن النظر الى وجوه المستمعين
وما يظهر عليهم من احوال الوجد مشتغلا بنفسه ومراعات قلبه ومراقبة ما يفتح
الله له من رحمته فى سره متحفظا عن حركة تشوش على اصحابه قلوبهم بل يكون
ساكن الظاهر هادى الاطراف متحرزا عن التنحنح والتثاوب يجلس مطرقا راسه
كجلوسه فى فكر مستغرق لقلبه متماسك عن التصفيق والرقص وساير الحركات
على وجه التصنع والتكلف والمراياة ساكتا عن النطق فى اثناء القول بكل ما عنه بد فان
غلبه الوجد وحركه بغير اختياره فهو فيه معذور غير ملوم ومهما رجع اليه الاختيار
فليعد الى هدوه وسكونه ولا ينبغى ان يستديمه حيا من ان يقال انقطع على القرب وجده
ولا ان يتواجد خوفا من ان يقال هو قاسى القلب عديم الصفا والرقة حكى ان شابا كان
يصحب الجنيد فكان اذا سمع شيئا من الذكر يزعق فقال له الجنيد يوما ان فعلت ذلك مرة اخرى
لم تصحبنى فكان بعد ذلك يضبط نفسه حتى يقطر من كل شعرة منه قطرة ماء ولا يزعق
فحكى انه اختنق يوما لشدة ضبطه لنفسه فشهق شهقة فانشق وتلفت نفسه وروى
ان موسى عليه السلام قص فى بنى اسرائيل فخرق واحد منهم ثوبه او قميصه فاوحى الله تعالى
الى موسى عليه السلام قل له مزق لى قلبك ولا تمزق ثيابك وقال ابو القسم النصر
اباذى لابى عمرو بن نجيد انا اقول اذا اجتمع القوم فيكون معهم قوال يقول خير من ان
يغتابوا فقال ابو عمرو الرياء فى السماع وهو ان ترى من نفسك حالا ليست فيك شر من
ان تغتاب ثلاثين سنة او نحو ذلك فان قلت الافضل هو الذى لا يحركه السماع
ولا يؤثر فى ظاهره او الذى يظهر عليه فاعلم ان عدم الظهور تارة يكون لضعف الوارد من
الوجد فهو نقصان وتارة يكون مع قوة الوجد فى الباطن ولكن لكمال القوة على ضبط الجوارح
وهو كمال وتارة يكون لكون حال الوجد ملازما ومصاحبا فى الاحوال كلها فلا يتبين للسماع
مزيد تاثير وهو غاية الكمال فان صاحب الوجد فى غالب الاحوال لا يدوم وجده فمن هو
فى وجد دائم فهو المرابط للحق والملازم لعين الشهود فهذا لا تغيره طوارق الاحوال ولا
يبعد ان تكون الاشارة بقول الصديق رضى الله عنه كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا معناه
قويت قلوبنا واشتدت فصارت تطيق ملازمة الوجد فى كل الاحوال فنحن فى سماع معانى
القران على الدوام فلا تكون القراءة جديدا فى حقنا طاريا علينا حتى نتاثر بها فاذا قوة
الوجد تحرك وقوة العقل والتماسك تضبط الظواهر وقد يغلب احدهما الاخر
اما لشدة قوته واما لضعف ما يقابله ويكون النقصان والكمال بحسب ذلك
فلا تظنن ان الذى يضرب نفسه على الارض اتم وجدا من الساكن باضطرابه
بل رب ساكن

بل رب ساكن اتم وجدا من المضطرب فقد كان الجنيد يتحرك فى السماع فى بدايته ثم
صار لا يتحرك فقيل له فى ذلك فقال وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب
صنع الله الذى اتقن كل شيء اشارة الى ان القلب مضطرب جايل فى الملكوت والجوارح
متأدبة فى الظاهر ساكنة وقال ابو الحسن محمد بن احمد بالبصرة صحبت سهل
ابن عبد الله ستين سنة فما رأيته تغير عند شيء كان يسمعه من الذكر والقران فلما كان
فى اخر عمره قرأ رجل بين يديه فاليوم لا يؤخذ منكم فدية الاية فرأيته قد ارتعد
وكاد يسقط فلما عاد الى حالة سألته عن ذلك فقال نعم يا حبيبى قد ضعفنا و
كذلك سمع مرة قوله تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن فاضطرب فسأل ابن
سالم وكان من اصحابه فقال قد ضعفت فقيل له فان كان هذا من الضعف فما قوة
الحال فقال ان لا يرد عليه وارد الا وهو يلتقمه بقوة حاله فلا تغيره الواردات وان كانت
قوية وسبب القدرة على ضبط الظاهر مع وجود الوجد استواء الاحوال بملازمة الشهود
كما يحكى عن سهل انه قال حالى قبل الصلوة وبعدها واحد لانه كان مراعيا للقلب
حاضر الذكر مع الله تعالى فى كل حال فكذلك يكون قبل السماع وبعده اذ يكون وجده
دايما وعطشه متصلا وشربه مستمرا بحيث لا يؤثر السماع فى زيادته كما روى
ان ممشاد الدينورى اشرف على جماعة فيهم قوال فسكتوا فقال ارجعوا الى ما كنتم
عليه فلو جمعت ملاهى الدنيا فى اذنى ما شغل همى ولا شفى بعض ما بى وقال
الجنيد رحمه الله تعالى لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم اتم من
فضل الوجد فان قلت فمثل هذا لم يحضر السماع فاعلم ان من هؤلاء من
ترك السماع فى كبره وكان لا يحضر الا نادرا لمساعدة اخ من الاخوان وادخالا
للسرور عليه وربما حضر ليعرف القوم كمال قوته فيعلمون انه ليس الكمال بالوجد
الظاهر فيتعلمون منه ضبط الظاهر عن التكلف وان لم يقدروا على الاقتداء به
فى صيرورته طبعا لهم وان اتفق حضورهم مع غير ابناء جنسهم فيكونون معهم
بابدانهم نائين عنهم بقلوبهم وبواطنهم كما يجلسون من غير سماع مع غير جنسهم
باسباب عارضة تقتضى الجلوس كما قيل فى المعنى ولقد جعلتك فى الفواد محدثى
وابحت جسمى من اراد جلوسى فالجسم منى للجليس موانسى وحبيب
قلبى فى الفواد انيسى وبعض من ينقل عنه ترك السماع ويظن انه تركهم
كان سبب تركهم استغناؤهم عن السماع بما ذكرناه وبعضهم كان من الزهاد
ولم يكن له حظ روحانى فى السماع ولا كان هو من اهل اللهو فتركه لئلا يكون
مشغولا بما لا يعنيه وبعضهم تركه لفقد الاخوان قيل لبعضهم لم لا تسمع